الكلام في معنى التأويل.. ومعنى النص

الباحث عبد الرحيم الراجـــــي
باحث في سلك الدكتوراه
أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي
المغرب

إذا كانت الحضارة الإنسانية قد انبنت أسسها وقامت علومها وثقافتها على أساس العقل والنص كما هو الأمر بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية، فإن التأويل كان ولا يزال حاضرا كآلية عند العديد من المفكرين العرب والغربيين، في مساءلة النص وفهمه وتكييف دلالاته ومعانيه مع حاجيات وانتظارات المجتمعات العربية والغربية التي تعرف تحولات مستمرة، ودليلنا على أهمية موضوع التأويل واستمرارية الانشغال به في إطار الإشكالية الكبرى المتعلقة بالحفاظ على التراث وتجديده ، يتجسد بوضوح في العديد من الكتابات التي تضمنت الحديث عن التأويل مثل: كتاب " **فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال" لابن رشد** و كتاب" **إلجام العوام عن علم الكلام" للغزالي** وكتاب **"فلسفة التأويل"** للفيلسوف **هانز جورج غادامير**. الأسئلة التي نتوخى معالجتها من خلال هذه الورقة البحثية، تتخلص فيما يلي:

أولا: هل كلمة التأويل لها حضور في "**القرآن بوصفه نصا لغويا مركزيا في الثقافة العربية**"[1]؟

ثانيا: ما هو مدول التأويل عند المفكرين العرب والمفكرين الغربيين؟

ثالثا: إذا سلمنا بأن النص هو الأرضية التي تشكل منطلقا للممارسة التأويل كآلية منهجية لتجاوز الظاهر وسبر الخفي المتواري .. فما هو مدلول النص في الثقافة العربية والغربية؟

1-الكلام في معنى التأويل..

1.1- التأويل في الاستعمال القرآني

وردت لفظة "التأويل" في القرآن سبع عشرة مرة، مما يدل على استخدامها بكثرة، وهذا الاستخدام كان بمعان مختلفة، إذن لننتقل إلى ذكر السور والآيات والمعاني التي أخذتها لفظة التأويل:

1- وردت لفظة التأويل في سورة آل عمران مرتين، قال تعالى: "**هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشبهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا كل من عند ربنا وما يذَّكَّر إلا أولو الألباب**"[2]

الآية كما هو ملاحظ تتضمن كما يقول السيوطي" الحديث عن المحكم والمتشابه من الآيات، والمحكم هو ما أحكم معناه، بحيث لا يحتمل وجوها من التأويل أما المتشابه فهو غير الواضح الغامض والملتبس الذي يحتمل وجوها للتأويل"[3] والتأويل في الآية المذكورة يفيد في نظر الطبري **العاقبة**.

2- في سورة النساء وردت لفظة تأويل مرة واحدة في قوله تعالى: " **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**"[4] والملاحظ في الآية أن المعنى يدور حول نزاع المسلمين مع أولي الأمر وبالتالي رد النزاع والفصل فيه إلى الله ورسوله لأن ذلك من الإيمان، ومن هنا

يقول الطبري أن" "أحسن تأويلا" أي جزاء، وهو الذي صار اليه القوم وقالوا أحسن عاقبة ومصيرا"[5] فمعنى التأويل في هذه الآية هو عاقبة الأمر ومصيره.

3- في سورة الأعراف وردت كلمة تأويل مرتين في قوله عز وجل: **"هل ينظرون إلى تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل لقد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفع لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وظل عنهم ما كانوا يفترون"**[6] ومدار الأمر في هذه الآية هو وجوب تدبر كتاب الله والعمل به لأنه هدى وشفاء كما قال عنه الله عز وجل، ولكن الكفار يعاندون وسيدرك هؤلاء صدق هذا الكتاب وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وبذلك لا يخرج معنى التأويل هنا عن **معنى العاقبة والمصير**، ووقوع ما أخبر عنه وذلك يوم القيامة، فيقول الكافرون " قد جاءت رسل ربنا بالحق" فقد صدق الرسل بما جاءت ولكن الكفار أصروا على كفرهم وعلى انتظار يوم القيامة ومن هنا فمعنى التأويل هنا هو **العاقبة** أيضا.

4- في سورة يونس وردت لفظة تأويل مرة واحدة في قوله تعالى: **"بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين"**[7] ومدار الآية على ما قام به الكفار من تكذيب لما جاء في القرآن قبل الإحاطة بما فيه، وقبل أن يأتيهم ما يؤول اليه الأمر من صدق القرآن ووقوع ما أخبر به، وبالتالي يكون معنى التأويل في هذه الآية هو **المآل بمعنى المرجع والمصير**.

5- في سورة يوسف وردت كلمة تأويل في ثمانية مواضيع مختلفة من السورة أولها: حين أخبر يوسف أباه عما رآه في منامه فيقول تعالى: **" إذ قال يوسف لأبيه يا أبتي إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين"**[8] هذه الرؤيا التي شكلت منعرجا محوريا في حياة يوسف، فتنبأ أبوه بمستقبله فبشره قائلا: **"وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها من قبل على أبويك إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم"**[9] وليس تأويل الأحاديث إلا تأويل الأحلام، وهذا يظهر بشكل جلي من خلال تأويل حلمي السجينين وحلم الملك، وكلها قد تحققت، مما يدل على ارتباط التأويل في الآية **بالإخبار** بالأمر الذي سيقع في المآل من تحقق الرؤى والأحلام. وكذلك جاء بنفس المعنى قوله تعالى: **"وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث"**[10] كذلك قوله تعالى:" **ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنِّ أراني أعْصِرُ خمرا وقال الآخر إنِّ أرَاني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل منه الطير نبئنا بتأويله إن نراك من المحسنين"**[11] ففي كلتا الحالتين الآيتين تحمل كلمة تأويل معنى الإخبار عما سيقع، فكلمة تأويل في سورة يوسف جاءت في كل المواضيع مقترنة بالأحلام والرؤى، فدلت على الأمر الذي سيقع في المآل من تحقق الأحلام، سواء رآه يوسف في منامه أو ما عرض عليه من أحلام طلبا لمعرفة حقيقتها كما أشرنا سابقا وبقي أن نذكر المواضيع الأخرى التي ذكرت فيها كلمة تأويل، قال تعالى :" **قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلك مما علمني ربي"**[12]، وفي قوله تعالى:" **قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالم"**[13] **كذلك قوله عز وجل:" وقال الذي نجا منهما واذكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون"**[14]وقوله أيضا: **"يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا"**[15] وقوله: **"رب قد آتيتني من المُلك و علمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين"**.[16]إذن كلمة تأويل في سورة يوسف تتوزع معانيها كما وضح المفكر **المصري نصر حامد أبو زيد "بين تأويل الرؤى والأحلام وتأويل الأحاديث بمعنى الإخبار عن الأشياء قبل حدوثها"**.[17]

6- في سورة الإسراء ذكرت كلمة تأويل مرة واحدة، قال تعالى: **"أوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا"**[18] ففي الآية أمر بالإحسان في البيع وذلك بإيفاء الكيل، والعدل في الميزان، فذلك خير وأحسن تأويلا أي عاقبة، وعلى ذلك فالاستخدام القرآني للتأويل في الآية بمعنى العاقبة.

7- والموضع الأخير الذي وردت فيه كلمة تأويل هو سورة الكهف ووردت مرتين على لسان الخضر الذي اشترط على موسى أثناء مصاحبته له الصبر، فقال تعالى: " **قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا**"[19] فكشف الخضر عن السبب والدافع وراء هذه الأفعال التي أقدم عليها والآية الثانية ويقول فيها الله تعالى" **ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا** "[20] إذن التأويل في الآيتين يتعلق بالكشف عن الدلالة الخفية للأفعال التي قام بها الخضر بالرجوع إلى أصولها وبيان السبب الحامل عليها، وبالتالي الإنباء بأمور عملية ستقع في المآل.

استقراء المعطيات السابقة تقودنا إلى استنتاج فكرة مؤداها، أن القرآن الكريم استعمل التأويل بمعنى: **العاقبة والمآل والإخبار والكشف عن الدلالة الخفية للأفعال وبيان السبب الحامل عليها**. السؤال الذي نطرحه الآن هو: ما هو مدلول التأويل عند المفكرين الغربيين والعرب؟

2.1- التأويل عند المفكرين الغربيين والعرب

قبل الانتقال إلى رصد دلالة التأويل عند الغربيين والعرب سنعرج وباقتضاب على ضبط مدلوله اللغوي، مشيرين إلى أن التأويل، يحيل لغويا على ما هو مبين تحته:

– **التفسير والتدبر**: يذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت 210هـ) صاحب "مجاز القرآن" **أنّ التفسير والتأويل بمعنى واحد فنقول: تأولت في فلان الأمر أي تحرّيته وتدبّرته"**[21] وتجدر الإشارة إلى أن معنى التأويل عند الصحابة والتابعين لا يخرج عن معنى التفسير والتدبر، ومن هذا المفهوم كانت " دعوة الرسول لابن عباس: **"اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"**[22]

فالتأويل الذي استخدمه ابن عباس لا يخرج عن كونه معرفة تفسير معاني الآيات وإن تطلب ذلك التدبر وإعمال العقل " فإن السلف قد قال كثير منهم أنهم يعلمون تأويله... ونقلوا ذاك عن ابن عباس أنه قال: (أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله) وهذا يقتضي أن الراسخين في العلم يعلمون التأويل الصحيح للمتشابه وهو التفسير في لغة السلف.

– **الرجوع**: جاء في معجم تهذيب اللغة للأزهري (ت 370 هـ) أن: "**الأول هو الرجوع، وقد آل يؤول أولا أي رجع**" وعلى هذا يكون التأويل مأخوذا من الأول بمعنى الرجوع، فكأن المؤول أرجع الكلام إلى ما يحتمله من معان.

– **العاقبة**: جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395 هـ): أن "**التأويل يعني من جهة، الرجوع ويعني من جهة أخرى، العاقبة أي ما يؤول إليه الأمر**"[23]

– **الإصلاح والسياسة**: جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ):"**آل مآله إيالة إذا أصلحه والإئتيال يعني الإصلاح والسياسة**"[24] كما جاء في مادة (أول) مرتبطا بالتفقة والتدبر في نصوص القرآن الكريم، فـ"أول الكلام وتأوله: دبَّره وقدَّره. والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى تدليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ". [25]

بناء على ما تقدم، يمكن القول أن مدلول" التأويل " في المعاجم اللغوية يتمحور حول المعاني الآتية: **الرجوع، العاقبة، السياسة، التدبر و التفقه**. والملاحظ أن هذا المعنى قد صاحب الخطاب الديني منذ بداية الوحي، ومحاولة المسلمين فهم القرآن فهما صحيحا يمكنهم من استنباط أحكام، بحثا عن مقصد الشرع. إذن، عودة على بدء.. ما معنى التأويل عند الغربيين والعرب؟

أ– **التأويل عند المفكرين العرب**: النص الديني الذي يوهم المتلقي بالتشبيه والتجسيم يقتضي في نظر الفقهاء التأويل أو التفويض، لكن ما ينبغي أن نومئ إليه هو أن التأويل أضحى مدار اهتمام ونقاش كبير في المجتمع العربي الإسلامي نتيجة عوامل

عدة ارتبطت: بالصراع السياسي على السلطة وظهور الفرق الكلامية وتطور الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي نتيجة الانفتاح على حضارات أخرى مثل: الحضارة الفارسية والحضارة اليونانية والحضارة الهندية...إلخ.

– إذن في هذا السياق التاريخي، ذكر الفيلسوف أبو حامد الغزالي (450هـ – 505هـ) في كتاب "**إلجام العوام عن علم الكلام**" تعريفا للتأويل عند ما كان بصدد حديثه عن الألفاظ والأخبار الموهمة للتشبيه، مبرزا" **بأن التأويل هو بيان معنى اللفظ بعد إزالة ظاهره وهذا إما أن يقع من العامي مع نفسه أو من العارف مع العامي أو مع العارف بنفسه بينه وبين ربّه**".[26] وهذا ما ذهب إلى تأكيده في "**المستصفى**" إذ أوضح أن " **التأويل عبارة عن احتمال يعضده دليل، يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز**"[27]، على ضوء هذا التعريف الذي قدمه الغزالي نستنتج أن الرجل، كان يهتم بالتأويل المجازي وهو صرف اللفظ عن ظاهره.

– من المنظور الفلسفي دائما، عرّف أبو الوليد بن رشد (520هـ – 595هـ) من خلال كتابه "فصل المقال" التأويل بالقول:" **ومعنى التأويل: هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، من غير أن يخل ذلك بعادة اللسان العربي في التجوز**".[28]

– أخذا بوجهة نظر علماء الكلام في تعريف التأويل، يقول المؤرخ والمتكلم محي الدين يوسف بن عبد الرحمان بن الجوزي (510هـ – 597هـ) معرفا التأويل:" **التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لاعتضاده بدليل يدل على مراد المتكلم** ".[29]

– في نفس الاتجاه، حدد المتكلم والمتصوف علي بن محمد الحسيني الجرجاني (730هـ – 816هـ) التأويل قائلا:" **التأويل في الأصل الترجيح وفي الشرع صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى يحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: "يخرج الحي من الميت" إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا، وإن أرد إخراج المؤمن من الكفر أو العالم من الجاهل كان تأويلا**".[30]

ب–التأويل عند المفكرين الغربيين: إذا كانت تجربة التفكير العربي في التأويل تتوخى حسب السياق تحقيق هدف من الأهداف الثلاث الآتية : استدعاء التأويل بهدف التعضيد أو التسديد أو التجديد، فإن رهان الفيلسوف الهيرمينوطيقي أمثال شلاير ماخر وهانز جورج غادامير وغيرهم كان يركزعلى تمثل التأويلية أو الهيرمينوطيقا على أساس أنها إبداع وتجديد، لأن جل فلاسفة الهيرمينوطيقا تصورا التأويلية بأنها مرادفة لفن الفهم الذي ييسر رفع سوء الفهم بالاعتماد عل القاعدة اللغوية والسيكولوجية وما إلى ذلك، ضدا على المنهج التفسيري الذي ظلت تنادي به النزعة الوضعية في مجال العلوم الطبيعية.

– إذن انسجاما مع هذه الرؤية الجديدة التي أضحت تتكلم عن التأويلية وليس التأويل، عرّف الفيلسوف الألماني شلاير ماخر (1768م– 1834م) التأويلية (الهيرمنوطيقا) بالقول بأنها " **فن الفهم أي الفن الذي لا يمكن الوصول إلى الفهم إلا من خلاله**"

– تأكيدا لفكرة فنيّة التأويلية التي أشار إليها شلاير ماخر، أوضح هانز جورج غادامير من خلال مؤلفه "الحقيقة والمنهج" قائلا:" **التأويلية هي فن الفهم الذي يعول على السبيل اللاهوتي والسبيل الفيلولوجي في العودة إلى التراث بغرض اكتشاف وفهم الكتاب المقدس والأدب الكلاسيكي**".[31]

استنتاج: البحث في معنى التأويل، جعلنا نخلص إلى نتيجة مؤداها، أنه شكّل موضوعا للتأمل وآلية لبناء المعرفة عند المتكلمين والفلاسفة والمتصوفة، فهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح مع قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال بالنسبة للمتكلم، ودلّ التأويل عند الفيلسوف على كونه إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية، أما التأويل عند المتصوف فهو أداة لتحرير المعنى من قيود السياقات المألوفة، إنه أداة لتخليص الكلمات من طاقات التسمية والتعيين.

2-الكلام في معنى النص..

شكل النص تاريخيا، نقطة تلاقي العديد من المجالات المعرفية، بل لا يكاد يخلو مجال من وجود النص. إلا أن وجهة النظر، وطريقة الاشتغال، وأشكال المقاربة، تختلف من مجال إلى آخر ومن باحث إلى آخر، وهذا راجع لما عرفه ولازال يعرفه مصطلح النص من تعدد دلالي، تطور عبر التاريخ. وقبل أن نبحث في الدلالة الاصطلاحية، لابد من التطرق إلى الدلالة اللغوية التي لا شك أنها ستمدنا ببعض التوضيحات المضيئة لبناء الدلالة الاصطلاحية. إذن ما هو المدلول اللغوي والاصطلاحي للنص؟ بكلام آخر ما هو مفهوم النص؟

1.2-الدلالة اللغوية للنص

النص في اللغة العربية وتحديدا في " **لسان العرب** " لابن منظور "**مشتق من فعل نصّ الحديث ينصّه نصّا رفعه، يقال نصّ الحديث إلى فلان أي رفعه، ويقال كذلك نصّت الظبية جيدها أي رفعته**".

أما النص في اللغة الفرنسية وبخاصة في" **معجم روبير**" فقد دلّ على "**مجموع المصطلحات والجمل التي تشكل منتوجا إبداعيا أي عملا فنيا: قصيدة، قصة، مقالة ...إلخ**" وفي" **معجم لاروس**" أخذ كذلك نفس المعنى إذ يفيد "**سلسلة من الجمل أو الفقرات التي تكوّن مقالا أو قصيدة ...إلخ**". إذن النص في الدلالة اللغوية يحيل على ما هو ظاهر وبارز ومحسوس، مثل: **المقالة والقصيدة** وغيرهما من الأعمال الإبداعية والفنية.

2.2- النص عند المفكرين النقاد الغربيين والعرب

لقد تعددت تعريفات النص حسب التوجهات المعرفية والنظرية للباحثين واختلاف مقارباتهم، بل قد تعددت تعريفات الباحث الواحد حسب توجهاته النقدية، **فرولان بارت** (Roland Barthes) مثلا "**تعددت تعريفاته للنص الأدبي بتعدد المراحل النقدية التي مرّبها، مند المرحلة الاجتماعية، وحتى المرحلة الحرة، مرورا بالبنيويـــة، والسيميائية**"[32]. وهذا التنوع في تعريف النص يدل على أن مفهوم النص خاضع لبدأ التحول والتغير الذي يعرفه المشهد الثقافي والإبداعي، كل هذا يكشف "**بأن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي ويؤكد ذلك الاختلاف بين علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة، حول حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم**"[33]. وسأحاول بإيجاز تسليط الضوء على مفهوم النص عند المفكرين والنقاد الغربيين والعرب وفق ما يلي.

أ- مفهوم النص عند العرب: يتحدد معنى النص حسب المجال المعرفي الذي تتم فيه الدراسة، ففي اصطلاح الأصوليين يدل النص على "**ما لا يحتمل الا معنى واحدا او ما لا يحتمل التأويل**"[34]. أما عند أهل الحديث فقد جاء بمعنى الإسناد، والتعيين، والتحديد، فيقولون نصّ عليه في كذا. ونجده عند الفقهاء بمعنى الدليل الشرعي **كالقرآن، والسنة**، ومنه قولهم:" **لا اجتهاد مع النص**".

والنص عند المفكرين والنقاد العرب فيمكن التعرف عليه كذلك من خلال مجموعة من المساهمات العربية لعدد من الباحثين ومنهم **طه عبد الرحمان** الذي عرّف النص بأنه " **بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة المرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات. وقد تربط هذه العلاقات بين جملتين أو بين أكثر من جملتين**"[35]. وأما **سعيد يقطين** فقد عرّف النص بأنه: "**بنية دلالية تنتجها ذات (فردية أو جماعية) ضمن بنية نصية منتجة وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة**".[36] وقريبا من هذا نجد **محمد عزام** يقول عن النص الأدبي إنه " **وحدات لغوية ذات وظيفة تواصلية– دلالية، تحكمها مبادئ أدبية تنتجها ذات فردية أو جماعية**"[37]. فالنص إذن **بنية لسانية ذات دلالة، وذات بعد تواصلي**، تحقق الأدبية من خلال مجموعة من المبادئ، كالانسجام والاتساق وتنتجه ذوات متعددة سواء قبل الكتابة أو أثناءها أو بعدها.

ب– مفهوم النص عند المفكرين والنقاد الغربيين: بالنظر لما للنص من أهمية في الثقافة الغربية فقد كان موضوعا للتأمل والبحث من طرف مجموعة من النقاد والباحثين، من مختلف المشارب، والاتجاهات النقدية المختلفة ومنهم السوسيولوجيون كالباحث الروسي **لوتمان** (Loutman) الذي يرى أن النص يعتمد على ثلاث مكونات وهي: "**التغيير (أي الجانب اللغوي) والتحديد (أي أن للنص دلالة لا تقبل التجزئة) والخاصية البنيوية وتعني أن النص بنية منظمة وليس مجرد متوالية من العلامات**"[38].

ويرتبط النص عند العالم اللساني **لويس هلمسليف** (Louis Hjelmslev) **بالملفوظ اللغوي المحكي أو المكتوب**، طويلا كان أو قصيرا "**فعبارة قف هي في نظر هيلمسلف نص**". وعند **تودوروف** "**النص إنتاج لغوي منغلق على ذاته ومستقل بدلالاته، وقد يكون جملة، أو كتابا بأكمله**"[39]. ويرى بأن لهذا الإنتاج اللغوي وجهان، وجه اللفظ ووجه المعنى، ولا يمكن تعريف النص من خلال اللفظ فقط، لكن هناك من أعطى الأولوية للمعنى على اللفظ، حيث يكون النص وحدة دلالية وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص.

أما الناقد الفرنسي **رولان بارت** فهو من النقاد الكبار الذين ساهموا في تعريف النص، حيث نشر بحثا بعنوان "**من العمل إلى النص**" ميّز فيه بين العمل الأدبي والنص الأدبي، فالأول شيء محدد مادي يحمل باليد، بينما الثاني تحمله اللغة، وله وجود منهجي فقط. والأول يرتبط بالأجناس والأنواع ويخضع للتصنيف، بينما الثاني يتجاوز ذلك كله، والأول أحادي، أما الثاني فتعددي (التناص)، والأول ملك لصاحبه والثاني ملك لقارئه، يقرؤه من جديد، لا كما أراد مؤلفه، بل "**قراءة إنتاجه، تقرب القراءة من الكتابة، حيث يصبح القارئ كاتبا لنص جديد**"[40]. ويعطي بارت للنص تعريفا لغويا حيث يرى بأنه نسيج من الكلمات، ومجموعة نغمية وجسم لغوي، ثم يعرفه في إطار السيميائيات بأنه "**نسيج من الدوال التي تكون العمل، وقد شبه هذا النسيج بنسيج العنكبوت فهو محكم ومتماسك، ويرتبط بعضه ببعض، في إطار وحدة كلية**"[41].

أما الفيلسوف وعالم اللسانيات بول ريكور(Paul Ricoeur) فقد انتقل بنا على مستوى تعريف النص إلى شيء جديد مؤداه أن النص خطاب تمت كتابته، إذ يقول موضحا :" **لنطلق كلمة نص على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة**"[42]، إذن الكتابة تضمن استمرارية الكلام، وهي كما عرّفها دريدا "**تثبيت الأصوات اللغوية بواسطة علامات خطية**" .

استنتاج: استقراء تصورات المفكرين والنقاد التي تمّ الوقوف عليها في الفقرات السابقة، يقودنا استنتاج وجود تصورين متمايزين أساسيين بخصوص مقولة أو مفهوم النص:

التصور الأول: ويقول بفكرة مؤداها أن **هناك فرق بين النص والخطاب**، ذلك أن **النص** له **وجود لساني خارج السياق** وهذا يعني أن النص له **وجود نسقي مستقل**. بينما **الخطاب** من حيث هو ملفوظ له **وجود سياقي**، وهذا يفيد بأننا لا يمكن أن نتكلم عن الخطاب **خارج المظروفية**.

أما التصور الثاني: فيقول بأن هناك **تطابق بين النص والخطاب** بحجة أن كل نص هو خطاب في سياق تواصلي محدد، والخطاب في حد ذاته لا يمكن أن يكون إلا نصا في السياق.

التساؤلات المطروحة: هل علماء الكلام والمتصوفة والفلاسفة والنقاد والأدباء وغيرهم من المثقفين والباحثين اتخذوا من التأويل منهجا لقراءة النص، وسبر عوالمه التاويه خلف ما هو ظاهر وجلي، لأسباب فنية جمالية؟ أم الأمر يعود إلى أسباب ودوافع سياسية واجتماعية وثقافية مرتبط بالواقع الذي عاشه .. ويعيشه المفكر والأديب.

الهوامش:

[1] نصر حامد أبوزيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 214، ص 9.
[2] سورة آل عمران، الآية 7.
[3] جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في اعجاز القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، ج 1، دار الفكر العربي، القاهرة،1969، ص 158.
[4] سورة النساء، الآية 59.
[5] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص 205.
[6] سورة الأعراف، الآية 53.
[7] سورة يونس، الآية 39.
[8] سورة يوسف، الآية 4.
[9] سورة يوسف، الآية 6.
[10] سورة يوسف، الآية 21.
[11] سورة يوسف، الآية 36.
[12] سورة يوسف، الآية 37.
[13] سورة يوسف، الآية 44.
[14] سورة يوسف، الآية 45.
[15] سورة يوسف، الآية 100
[16] نفس السورة، الآية 101
[17] نصر حامد أبوزيد، مفهوم النص: دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 214، ص 228.
[18] سورة الإسراء، الآية 35
[19] سورة الكهف، الآية 78
[20] نفس السورة، الآية 82
[21] أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تعليق: محمد فؤاد سركيس، طبعة الخانجي، القاهرة، 1954، ص 18.
[22] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 3، المطبعة الأزهرية، القاهرة، 1301هـ، ص 62.
[23] أبو الحسن بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، المجلد1، دار الجيل، بيروت، ص162.
[24] ابن منظور، لسان العرب، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1402هـ. ج13، ص34.
[25] ابن منظور، لسان العرب، ب 52.

[26] أبو حامد الغزالي، إلجام العوام عن علم لكلام، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ص66.

[27] أبوحامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع المجلد الأول، القاهرة، 1960، ص387.

[28] أبوالوليد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة من اتصال، دراسة وتحقيق محمد عمارة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، 1999، ص32.

[29] محي الدين يوسف بن عبد الرحمان بن الجوزي، الإيضاح لقوانين الإصلاح في الجدل والمناظرة، تحقيق محمد بن محمد السيد الدغيم، القاهرة، فبراير1991، ص20.

[30] علي بن محمد الحسيني الجرجاني، كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة 1985، ص52.

[31] هانز جورج غادامير، الحقيقة والمنهج، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع،2007، ص258.

[32] محمد عزام، النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001، ص14.

[33] سعيد بحيري، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1977، ص 107.

[34] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة،2004، الجزء الثاني، ص926.

[35] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 200، ص 35.

[36] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي: النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 2001، ص 32.

[37] محمد عزام، النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001، ص26.

[38] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، العدد 164، غشت 1992، ص 216.

[39] محمد عزام، النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001، ص14.

[40] محمد عزام، النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2001، ص 19.

[41] رولان بارت، درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الطبعة الثالثة، 1993، ص85.

[42] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، العدد 164، غشت 1992، ص219.